﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ [الحجر: 6]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

علاقة قدر الله في هلاك الكفّار، بكفر المشركين بنبوَّةِ محمَّدٍ ﷺ

لَمّا بيَّن الله تعالى فيما سبق كفرهم بالكتاب، وما يؤول إليه حالُهم؛ شرعَ في بيان كفرِهم بمن أُنزلَ عليه الكتابُ[1]، وأيضًا لَمّا بالَغَ الله تعالى في تَهْديدِ الكُفّارِ، ذَكَرَ بَعْدَهُ شُبَهَهُمْ في إنْكارِ نُبوَّتِه[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلذِّكْرُ﴾: أصلُ الذِّكْرِ: الحِفْظُ الَّذي تَذْكُرُه، وهو خِلافُ النِّسيان[3]. وهو أيضًا: جَرْيُ الشَّيْءِ على لِسانِكَ[4]. والذِّكْرُ: الصّيتُ والثَّناءُ، لذكرِه بين النّاس، والذِّكْر: الكتابُ الَّذي فيهِ تَفْصيل الدّين، وكلُّ كتابٍ من كُتبِ الأنبياء عليهم السلام ذِكْرٌ[5]، فالذِّكْرُ الكَلامُ الموحَى بِهِ؛ ليُتْلَى، ويُكَرَّرَ، فهو للتِّلاوَةِ؛ لأنَّهُ يُذْكَرُ ويُعادُ، ولأنَّ فيه تذكيرًا باللّه واليَومِ الآخِرِ، أو لأنَّه بمعْنَى أنَّ به ذِكْرَهُم في الآخَرينَ[6]، والمقصود بالذِّكر في الآية: الكَلامُ الموحَى بِهِ؛ ليُتْلَى، ويُكَرَّرَ، والمُرادُ بِهِ هُنا القُرْآنُ[7].

2) ﴿لَمَجْنُونٌ﴾: أصْلُ الاجْتِنانِ: الاسْتِتارُ والاخْتِفاءُ، يُقالُ: جَنَّ الشَّيْءُ، واجْتَنَّ اجْتِنانًا، أيْ: اسْتَتَرَ، ومنهُ سُمّيَ الجَنينُ لِاسْتِتارِهِ في بَطْنِ أُمِّهِ، وسُمّيَ فاسِدُ العَقْلِ: مَجْنونًا؛ لِتَغَطّي عَقْلِهِ واستتارِهِ عَنِ الإدْراكِ، والجنون: زَوالُ العَقْلِ أوْ فَسادُهُ، تَقولُ: جُنَّ الرَّجُلُ، فَهوَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/66.
(2) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 19/121.
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والمحيط في اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذكر).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (ذكر).
(5) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (ذكر).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/16.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/16.

مَجْنونٌ، أيْ: زالَ عَقْلُهُ، أوْ فَسَدَ[1]. والمراد بالمجنونِ في الآية: الَّذي جُنَّ، أيْ: أصابَهُ فَسادٌ في العَقْلِ مِنْ أثَرِ مَسِّ الجِنِّ إيّاهُ في اعْتِقادِهِم[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قال المكذِّبون لرسول الله ﷺ استهزاءً: يا أيُّها الذي زعم أنَّه نُزِّل عليه القرآن إنَّك لذاهب العقل، هلّا تأتينا بالملائكة - إنْ كنت صادقًا - لتشهد أنَّ الله أرسلك[3].

عِنادُ أهلِ مكَّة، وكفرهم بمن أُنزل عليه الكتاب، ورميه بالجنون

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة عودِ الضَّمير، في قولِه: ﴿وَقَالُواْ﴾:

الضّمير في ﴿وَقَالُواْ﴾ لكفار قريش، ويُشْعِرُ وصفهم لرسول الله ﷺ بالجنون بأنَّه قول صناديدهم وكبرائهم، كَما قالَ فِرْعَوْنُ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشُّعَراء: 27][4]، ولَمّا كان أتباعُهم غيرَ منكرين لقولِهم؛ آذن عدم إنكارهم برضاهم به، فنسب القول إلى جميعهم.

عدم الإنكار على قولِ الكبراء الكافرين مع اتِّباعِهم دليل الرِّضا بقولِهم

مناسبة مجيء أسلوب النِّداء في ﴿يَـٰٓأَيُّهَا﴾:

قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾، وفيه: لَمّا كان النِّداء بمعنى رفْعِ الصَّوت صياحًا وظهورِه للمخاطَبين، وكان على معنى طلبِ إقبال المنادَى على المنادي؛ دلَّ على أنَّهم ما كانوا يرقبون في رسولِ الله إلَّا ولا ذمَّةً في استهزائهم، ففيه توبيخٌ.

توبيخُ من لا يستحي من رسول الله ﷺ، ولا يتأدَّب معه

لهم على قبحِ أعمالِهم وعدم استحيائهم ممَّن نزِّل عليه الذِّكر[5]،

(1) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (جنن)، والمناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 131.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/17.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/527، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 14/8.

(4) البغويّ، معالم التّنزيل: 3/51، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/351.

(5) الماتريديّ، تأويلات أهل السنّة: 6/422، والسمعاني، تفسير السّمعانيّ: 3/130، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/571، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/351.

كما أفادَ مَجيءُ الكلام بأسلوب النِّداء التَّنبيه على أنَّ المنادَى وهو رسولُ اللّه بعنوان نزولِ الذكر عليه؛ كان حاضرًا في قلوبِهم لا يغيب عنهم[1]؛ ليشعرَ بأنَّ الضجرَ والاضطرابَ لم يكن ليفارقَهم بسبب نزول الذِّكر على رسولِ اللّه ﷺ.

دلالة (يا) النِّداء في سياق الآية المحكم:

في قولِه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾، وفيه لَمّا كانت (يا) للنِّداء، والظّاهر أنَّها لنداء البعيد؛ أفاد التَّعبير بها أنَّهم تصوَّروا رسول اللّه ﷺ بعيدًا عنهم بما هم عليه من الشِّرك وأحوالِه، وما كان عليه من الإيمان وأحوالِه، فلمّا كان النِّداء يكون بمدِّ الصَّوت للإنسانِ المعرض عن المنادي[2]؛ ناسب ما أشعر به قولُهُ تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾ من معنى إعراضِه ﷺ عنهم، كما يشعر النِّداء بالياء استصغارَهم لرسولِ اللّه؛ إذ ينادونه من مكانٍ بعيدٍ مع إعراضِهم عن اسمِه ومناداتِه بالصِّفة التي جاءهم عليها، وهم منكرون لها[3].

الإيمانُ وأحوالُه بعيدٌ من الشِّرك وأحوالِه

سبب إيثار التَّعبير بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾:

عُبِّر بالاسم الموصول لِما في الصِّلَةِ مِنَ المَعْنَى الَّذي جَعَلوهُ سَبَبَ التَّهَكُّم[4]، وللإشعار بأنَّ جملة الصِّلة – وهي كون رسول اللّه قد أُنزل عليه الذِّكر – معلومةُ الانتساب عند المتكلِّمين والمخاطَبين.

من قبحِ الكافرين وجهلِهم، جعلُهم نزولَ الذِّكر سببًا للتَّهكُّم

فائدة التّعبير بجملة: ﴿ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾:

أفاد هذا التعبير أنَّ رسولَ اللّه أبلغَهم، وقال لهم: أُنزِل عليَّ الذِّكرُ من اللّه، ليُشعِرَ الكلامُ أنَّهم قد بُلِّغوا بالأمرِ، فلمّا قال لهم ذلك؛ عارضوه بهذا القولِ كالمستهزئين به ﷺ، ففيه توبيخٌ لِما استهزؤوا

أراد الكافرون الاستهزاء برسول الله، فصَرَف الله ألسنتهم عن الشَّتم

(1) الإسفراييني، الأطول شرح تلخيص المفتاح: 1/605.
(2) سيبويه، الكتاب: 2/230، والسّامرائيّ، معاني النّحو: 4/321.
(3) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآني للقرآن: 7/217.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/16.

به، وإيذانٌ بأنَّهم قد بلِّغوا بالرِّسالة، وقد أرادوا الاستهزاءَ بوَصْفِه، فَأَنْطَقَهُمُ اللهُ بالحَقِّ فيه؛ صَرْفًا لِألْسِنَتِهِمْ عَنِ الشَّتْمِ[1].

بلاغة التَّهكُّم، على خلافِ مقتضى الظّاهر:

قـولُ الحقِّ على جهـة التَّهكُّـم، مذمومٌ قبيحٌ

لمّا كان الوصفُ في قولهم: ﴿ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ مناقضًا لقولِهم: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾؛ لأنَّهم كانوا كفرةً لا يُقِرّونَ بنزولِ شيءٍ على رسولِ اللهِ ﷺ؛ أفاد أنَّهم قالوا هذا الوصف على معنى التَّهكُّم للتَّشهير بالوصف المنادى به؛ ليكون ما قالوه على جهة الاستهزاء والاستخفاف والتَّكذيب، لا تسليمًا لذلك واعتقادًا له، وإشعارًا بعلَّة حكمهم الباطل في قوله: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[2].

نكتة التَّعبير بصيغة ﴿نُزِّلَ﴾ في السّياق:

التّـعجيب من إقـرار الكافرين بـنـزول الـذّكـر، ووصف المبلّغ له بأنّه مجنون

أفاد التَّعبير بصيغة (فُعِّلَ) أنَّهم كانوا مقرّين بكثرةِ تنزيل الآياتِ على رسولِ اللهِ ﷺ وتتابعها عليه، ففيه تعجيب من حالِهم ووصفِهم، كيف يُقِرّونَ بكثرة تنزيل آياتِ القرآن وتتابعه عليه، ويصفونه بالجنون؟

سرُّ إيثار التَّعبير بصيغة المبنيّ للمفعول ﴿نُزِّلَ﴾:

مكابرة الكافرين في الحقِّ، طريق للطَّعنِ في النّبوَّة والرّسالةِ

عبِّرَ بصيغة المبني للمفعول على وجه المكابرةِ من الكافرين، لإفادةِ أنَّهم منكرون أنْ يكونَ الذِّكرُ منزَّلًا من عندِ اللهِ تعالى، وأنَّهم مكذِّبون بالتنزيل نفسه؛ لإيهام أنَّ ذلك ليس بفعل له فاعلٌ أو لتوجيه الإنكارِ إلى كون التنزيلِ عليه لا إلى استناده إلى الفاعل؛ ليكون وصْفُهم الذِّكرَ بأنَّه مُنَزَّلٌ؛ تقريرًا لاستهزائهم واستخفافِهم برسولِ اللهِ ﷺ للطَّعنِ في نبوَّته ورسالته[3].

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 20/121، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/16.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/571، والفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/121، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/66، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/16.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/19، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/67.

دلالة تقديم ﴿عَلَيْهِ﴾ على ﴿ٱلذِّكْرُ﴾:

لم ينزّل الذّكر يقينا إلّا عليه، باعتراف الكافرين أعداءه

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿عَلَيْهِ﴾ على النّائب عن الفاعل ﴿ٱلذِّكْرُ﴾؛ لإفادة التَّخصيص، بمعنى: أنَّهم كانوا معترفين أنَّه لم يدَّعِ أحدٌ أنَّه أنزل الذِّكر عليه من الله تعالى سوى رسول الله ﷺ، والتَّقدير: يا أيُّها الذي لم يُنزَّل الذِّكر إلا عليه.

نكتة التَّعبير بلفظ ﴿ٱلذِّكْرُ﴾:

تسميَةُ القُرْآن ذِكْرًا، تَسْمِيَةٌ جامِعَةٌ عَجِيبَةٌ

عبَّر بالوصف الأعمِّ - وهو الذِّكر - دونَ الأخصِّ وهو القرآنُ؛ لأنَّ في ذكر الأخصِّ تنبيهًا لِلمعجزات التي ورد بها القرآن، والكلام في سياق إنكارِهم لمعجزة القرآن وطعنهم بالنَّبيِّ، ولمّا كان القرآنُ قد وُصف بالذِّكر؛ لأنَّه يُتلَى ويُكرَّرُ؛ أشعرَ التَّعبير به بأنَّه صارَ حديثَ القوم وذكرَهم، فناسب إيرادُ هذا الوصفِ المقامَ. وتَسْمِيَةُ القُرْآنِ ذِكْرًا تَسْمِيَةٌ جامِعَةٌ عَجِيبَةٌ لَمْ يَكُنْ لِلْعَرَبِ عِلْمٌ بِها مِنْ قَبْلِ أنْ تَرِدَ في القُرْآنِ[1].

مناسبة مجيء قوله: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾:

عِلمُ المشركين بأنَّ نزول الذِّكر أمرٌ خارقٌ للعادةِ

أفاد الوصف بالجنونِ أنَّهم كانوا يعلمون أنَّ ما يقولُهُ رسولُ الله ﷺ من نزول الذِّكر عليه أمرٌ عظيم خارقٌ للعادةِ ومخالفٌ للواقِع، والمعنى: أنَّك لَتقولُ قولَ المجانين حين تدَّعي أنَّ الله تعالى نزَّلَ عليك الذِّكرَ، أي: القرآن، لِتَوَهُّمِهِمْ أنَّ ادِّعاءَ نُزولِ الوَحْيِ عَلَيْهِ لا يَصْدُرُ مِنْ عاقِلٍ، لمخالفته الواقِعَ؛ تَوَهُّمًا مِنْهُمْ بِأنَّ ما لا تَقْبَلُهُ عُقولُهُمُ الَّتي عَلَيْها غِشاوَةٌ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أنْ يَقْبَلَهُ العُقَلاءُ[2].

نكتة التَّعبير بتركيبِ ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾:

لَمّا كان هذا الكلام يُقال للعاقل؛ حين يفعل شيئًا مخالفًا للعُرفِ؛

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/4، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/17.

(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/121، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/207، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/17.

أو يقول قولًا مخالفًا لِما اعتاد النّاس عليه للإشعار بتحيُّره فيه ولاستبعادِ كلامِه، أفاد أنَّهم إنَّما قالوا هذا القولَ؛ لتحيُّرهم في أمرِ رسول الله ﷺ، ولعجزِهم عن التحدّي، ولاستبعاد نزول الذِّكر عليه، ولأنَّه دعاهم إلى غيرِ ما هم فيه، وخاطرَ بنفسِهِ وروحِه لأجل دعوتِه ﷺ، وهذا كما يقول الرجل لمن يسمع منه كلامًا يستبعده، أو يستبعد النزول إلى حكمِهِ: أنت مجنون[1].

عجز الكافرين عن تحدّي القرآن، أفضى بهم للاستهزاء والشَّتم

بلاغة الكناية، في جملة: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾:

أفاد حكمُهم على رسولِ الله - بأنَّه مجنون - أنَّهم مكذِّبون لِما يقوله من نزول الذِّكر عليه من ربِّ العالمين؛ لأنَّ ما يصدر من المجنون من الكلام لا يكون جاريًا على مطابقة الواقع، فأكثره كذبٌ غيرُ مطابقٍ للواقعِ، فيكون مرادُهم من هذا القولِ ملزومَ التَّركيبِ ولازمَه.

بلاغة إرادة ملزوم الكلامِ ولازمه

بلاغة التَّعريض في اتّهامه بالجنون:

أفاد التعبيرُ الكاشف عن وصف الكافرين لرسولِ الله ﷺ بهذا الوصفِ التَّعريضَ بهم، بأنَّهم أولى بهذا الوصفِ بما وصفوه به؛ لكفرِهم وعدم الانتفاعِ من عقولِهم ولالتباس الحقائق عليهم، فهم كما في المثل: رَمَتْنِي بِدائِها وانْسَلَّتْ[2].

الكافر أحقُّ بالوصفِ بالجنونِ، لالتباس الحقائق عليهم واشتباهِها

فائدة تتابع التّأكيد في: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾:

جاءت الجملةُ مؤكَّدةً بثلاثة تأكيدات: اسميَّتِها وبالأداتين: (إنَّ)، واللّام الداخلة على الخبر؛ ليكون على طريق الخبر الإنكاري؛ لعلمِهم بصدقِ رسول الله فيما يدَّعيه وفي حقيقة نزول القرآنِ عليه، وليقينِهم بأنَّ المخاطَب المخالفَ لعملِهم منكِرٌ لقولِهم، أيْ: لعلمِهم بأنَّ خبرَهم منكَرٌ جاؤوا بثلاثة تأكيداتٍ، والمعنى: أنَّ جنونَك مُتَحَقِّقٌ

الكاذب يسعى لتأكيد كلامِه، ليصدِّقَهُ النّاس

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/121، والآلوسيّ، روح المعاني: 7/259.
(2) القشيريّ، لطائف الإشارات: 2/263.

على أتمِّ وجهٍ؛ بسبب ما تدَّعيه من نزول الذِّكر عليك[1]، أو يكون التأكيد لِقَصْدِهِمْ تَحْقيقَ ذَلِكَ لَهُ ﷺ؛ لَعَلَّهُ يَرْتَدِعُ عَنِ الاِسْتِمْرارِ فيهِ، أوْ لِقَصْدِهِمْ تَحْقيقَهُ لِلسّامِعينَ حاضِري مَجالِسِهِمْ، ولا مانعَ من الجمعِ بين هذه المعاني كلِّها[2].

سبب مجيء قولِهم: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾:

ليس للمغلوبِ إلّا الشَّتمُ، وهو سلاح المهزومين

لَمّا أقاموا الشتم مقامَ الجواب عمّا أمرهم الله تعالى به من الإيمانِ بآياتِ الكتاب والقرآن؛ كان هذا دليلًا على عنادِهم؛ للإشعارِ بأنَّهم مغلوبون مقطوعون في المناظرة، فليس للمغلوبِ إلّا الشَّتمُ[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/19.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/17.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 11/19.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 25 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-22-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 25 : المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-22-7
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-3019282 بتاريخ 2024/02/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»